كنوز الحكمة
كولوسي 8:2 - 23

- **الدرس السابع**

بدأنا في الدرس السابق نتأمل في الفصل الثاني منها ورأينا شيئاً هاماً للغاية وهو أن المسيح يجيب على كل فلسفات الحياة، ويعالج العقل أو الذهن بالتمام. رأى بولُس أنَّ هُنالِكَ خَطَراً كَبيراً يتهدَّدُ الكنيسَةَ في كولوسي وفي لاودكيَّة مِمّا أصابَهُ بألَمٍ مُبَرِّحٍ في قَلْبِهِ. فقَد كانَ المؤمِنونَ هُناكَ يواجِهونَ خَطَرَ الانجِرافِ في أحَدِ اتّجاهَيْن. وما يزالُ هذا الخَطَرُ قائِماً؛ لهذا فَنَحْنُ بِحاجَةٍ للكثيرِ من صَلاةِ الجِهاد مِنْ أجْلِ الكنيسَة اليوم. ولهذا فإنَّنا نَجِدُ كنيسَةَ لاودكيَّة تُعاني مِنَ الفُتور في سِفْرِ الرؤيا: فقَد فقَدوا تركيزَهُم على شَخْصِ المسيح. لكِنَّ المسيحَ هُو الجَوابُ الشافي لعَقْلِ الإنسان؛ كَما أنَّهُ الجَوابُ الشافي لِقَلْبِه.

تحدث الرسول بولُس عَنِ الفلسَفَةِ وكلامِ التملُّق. فالكثيرونَ يعْرِفونَ عَنْ أفلاطون وغيرِهِ مِنَ الفلاسِفَة، لكنَّهُم لا يعْرِفونَ سِوى القليلِ عَنِ الكِتابِ المُقَدَّس. وأعْتَقِدُ بأنّ هذا هُوَ ما قَتَلَ الكنيسَةَ في كولوسي، وهُوَ الشيءُ الذي جَعَلَ كنيسَةَ لاودكيَّة أضْعَفَ كنيسَةٍ مِنْ بينِ الكنائِسِ السَبْع في آسيا الصُغرى. تحدث عن خلاصهم ثم قال: والآن، بَعْدَ أنْ قَبِلْتُم المسيح يسوع، اسلُكوا فيه، اسلُكوا في الروح. عش المسيح في بيتِكَ، وفي عَمَلِكَ، وفي الشارِع. ثم أنْ نكونَ مُتأصِّلين وأنْ نسْتَمِدَّ حياتَنا مِنْهُ كالشَجَرَة، وأنْ نكونَ مبنيِّينَ فيه بأنْ يكونَ إيمانُنا قائِماً عليهِ هُوَ.

إنَّ الفيلسوفَ الحقيقيّ هُوَ الباحِثُ عَنِ الحقيقَة. لكِنَّ الحَقيقَةَ ليسَت موجودَةً في الحِكْمَةِ البَشَرِيَّة. فالمسيحُ هُوَ الحَلّ، وهُوَ الجوابُ على الفَلْسَفَة. يُحاوِلُ بعضُ المسيحيّينَ أنْ يبنوا حياتَهُم المسيحيَّةِ على بَعْضِ المبادئ العالميّة التي تبدو بسيطَةً. لكِنَّ الأساسَ الذي نعتَمِدُ عليهِ نَحْنُ المؤمِنينَ ليسَ الفَلْسَفَة، وَلا مبادئ العالَم؛ بَلْ أساسُنا هُوَ الرَّبّ يسوع المسيح.

نتابع التأملات في الفصل الثاني من رسالة كولوسي، حيث يتحدَّثُ الرسولُ بولُس الآن عَنِ المسيح. لنقرأ من الآية التاسعة وحتى الخامسة عشرة من الفصل الثاني من كولوسي..

9 فَإِنَّهُ فِيهِ يَحِلُّ كُلُّ مِلْءِ اللاَّهُوتِ جَسَدِيًّا. 10 وَأَنْتُمْ مَمْلُوؤُونَ فِيهِ، الَّذِي هُوَ رَأْسُ كُلِّ رِيَاسَةٍ وَسُلْطَانٍ. 11 وَبِهِ أَيْضًا خُتِنْتُمْ خِتَانًا غَيْرَ مَصْنُوعٍ بِيَدٍ، بِخَلْعِ جِسْمِ خَطَايَا الْبَشَرِيَّةِ، بِخِتَانِ الْمَسِيحِ. 12 مَدْفُونِينَ مَعَهُ فِي الْمَعْمُودِيَّةِ، الَّتِي فِيهَا أُقِمْتُمْ أَيْضًا مَعَهُ بِإِيمَانِ عَمَلِ اللهِ، الَّذِي أَقَامَهُ مِنَ الأَمْوَاتِ. 13 وَإِذْ كُنْتُمْ أَمْوَاتًا فِي الْخَطَايَا وَغَلَفِ جَسَدِكُمْ، أَحْيَاكُمْ مَعَهُ، مُسَامِحًا لَكُمْ بِجَمِيعِ الْخَطَايَا، 14 إِذْ مَحَا الصَّكَّ الَّذِي عَلَيْنَا فِي الْفَرَائِضِ، الَّذِي كَانَ ضِدًّا لَنَا، وَقَدْ رَفَعَهُ مِنَ الْوَسَطِ مُسَمِّرًا إِيَّاهُ بِالصَّلِيبِ، 15 إِذْ جَرَّدَ الرِّيَاسَاتِ وَالسَّلاَطِينَ أَشْهَرَهُمْ جِهَارًا، ظَافِرًا بِهِمْ فِيهِ.

" فَإِنَّهُ فِيهِ يَحِلُّ كُلُّ مِلْءِ اللاَّهُوتِ جَسَدِيًّا ". هذه آيَةٌ قاطِعَةٌ وحاسِمَةٌ على لاهوتِ المسيح، ولا يُمْكِنُ التعبير عن هذه الفِكْرَة بطريقَةٍ أقوى مِمّا فَعَلَ الرسول بولُس. فاللاهوتُ ليسَ حالاً في المسيحِ بنسبَةِ 99% وإنَّما 100%. عدد 10:" وَأَنْتُمْ مَمْلُوؤُونَ فِيهِ، الَّذِي هُوَ رَأْسُ كُلِّ رِيَاسَةٍ وَسُلْطَانٍ ". "وَأَنْتُمْ مَمْلُوؤُونَ فِيهِ." كَلِمَة "مملوئين" في اليونانيَّة تُستَخْدَمُ في نِطاقِ البحريّة. ويُمْكِنُ ترجَمَة هذه الآيةِ على النَحوِ التالي: أنْتُم مُستَعِدّونَ لِرِحْلَةِ العُمْرِ مَعهُ. أليسَت هذه طريقَةً رائِعَة للتعبيرِ عن هذه الآيَة؟ فأنْتُم مُستَعِدّونَ لِرِحْلَةِ العُمْرِ مَع المسيح، وإنْ احتَجْتُم لأيِّ شَيءٍ لهذه الرِحْلَةِ فسوفَ تَجِدونَهُ فيه. وهُنا يَجْدُرُ بِنا أنْ نقول بأنّ المسيحَ هُوَ الردُّ. فما هُوَ سؤالُكَ عزيزي؟ وما هُوَ احتياجُكَ اليوم؟ هَلْ أنْتَ مُنْجَرِفٌ وراءَ فَلْسَفَةِ البشر؟ إذَن تَعالَ إلى المسيح. هَل أنْتَ مُنْجَرِفٌ وراءَ العِباراتِ المُنمَّقَة؟ هَلْ أنْتَ مُنْجَرِفٌ وراءَ الأنظِمَةِ والتقاليدِ التي هِيَ مِنْ صُنْعِ البَشَر؟ إذن، تَعالَ إلى الربّ يسوع المسيح.

عدد 11:" وَبِهِ أَيْضًا خُتِنْتُمْ خِتَانًا غَيْرَ مَصْنُوعٍ بِيَدٍ، بِخَلْعِ جِسْمِ خَطَايَا الْبَشَرِيَّةِ، بِخِتَانِ الْمَسِيحِ ". يقولُ لهُم الرسولُ بولُسَ بأنْ يتخلَّصوا مِنَ كُلِّ ما هُوَ ظاهِريّ وخارِجيّ. فالخِتانُ الحقيقيّ هُوَ الوِلادَةُ الجَديدَة. وهُو يَشْرَحُ ذلِكَ لأهلِ غَلاطية فيقولُ لَهُم: "لأَنَّهُ فِي الْمَسِيحِ يَسُوعَ لَيْسَ الْخِتَانُ يَنْفَعُ شَيْئًا وَلاَ الْغُرْلَةُ، بَلِ الْخَلِيقَةُ الْجَدِيدَةُ" (غلاطية 15:6). فَنَحْنُ نُصْبِحُ، عزيزي، خليقَةً جديدَةً حينَما نأتي إلى المسيحِ ونَثِقُ فيهِ لكونِهِ مُخَلِّصَنا. عدد 12: " مَدْفُونِينَ مَعَهُ فِي الْمَعْمُودِيَّةِ، الَّتِي فِيهَا أُقِمْتُمْ أَيْضًا مَعَهُ بِإِيمَانِ عَمَلِ اللهِ، الَّذِي أَقَامَهُ مِنَ الأَمْوَاتِ ". إنَّ موتَ المسيحِ وقيامَتَهِ حقيقَةٌ تاريخيَّة. وحينَما ماتَ المسيح مُتنا أنا وأنْتَ، صديقي، مَعهُ. لقَد أخَذَ مَكانَنا وحَلَّ مَحَلَّنا في الموت. وحينَما قامَ مِنَ الأمواتِ قُمْنا مَعهُ أيضاً، ونَحنُ الآنَ مُرتَبِطونَ بالمسيحِ الحيّ. ومِنَ المُهِمِّ جِدّاً أنْ نَرى ونَعْرِفَ بأنَّنا مُرتَبِطون بمُخَلِّصٍ حَيٍّ. ومِنَ الضروريّ أيضاً أنْ نتذكَّرَ دوماً بأنَّهُ ما مِنْ طُقوسٍ أو مُمارساتٍ تَقْدِرُ أنْ تُقرِّبَنا مِنَ المسيح - فالمُهِمُّ في الأمْرِ هُو ما إذا كُنّا مَولودينَ ثانِيَةً أم لا، وما إذا كُنّا نَعْرِفُ المسيحَ باعتبارِهِ مُخلِّصَنا أم لا. فإنْ كُنّا نَعْرِفُهُ، فنَحْنُ مُرتَبِطونَ مَعهُ. وهذا يَعني أنْ "نَخْلَعَ جِسْمَ خَطَايَا الْبَشَرِيَّةِ، بِخِتَانِ الْمَسِيحِ." ونَحنُ نرتَبِطُ بالمسيح في المَعموديَّة، لكِنَّنا مُقامونَ مَعهُ أيضاً - مُندَمِجونَ مَع المسيحِ الحَيّ. "بِإِيمَانِ عَمَلِ اللهِ، الَّذِي أَقَامَهُ مِنَ الأَمْوَاتِ" - لقَد تَمَّ الخَلاصُ بِقوَّة قِيامَة الله. إنَّها ليسَت فَلْسَفَةً، وليسَت نِظاماً ما، وليسَت مساقاً يأخُذُهُ المرء ليتمكَّنَ مِنَ العيشِ لله؛ بَلْ هُوَ الإيمانُ بِعَمَلِ الله.

عدد 13:" وَإِذْ كُنْتُمْ أَمْوَاتًا فِي الْخَطَايَا وَغَلَفِ جَسَدِكُمْ، أَحْيَاكُمْ مَعَهُ، مُسَامِحًا لَكُمْ بِجَمِيعِ الْخَطَايَا ". الخَلاصُ لا يَعني تحسينَ الطبيعَةِ القديمَة؛ وإنَّما إعطاءُ طبيعَةٍ جديدَة. كانَ ينبَغي على الرسولِ بولُس أنْ يتعامَلَ مَعْ فلسَفَتينِ يونانيَّتينِ كانتا شائِعَتَيْنِ جِدّاً في ذلِكَ الوقت. ورُغْمَ أنَّ هاتينِ الفلسَفَتينِ كانتا مُتعارِضَتَيْنِ تَماماً، إلاّ أنَّهُما كانتا تنبُعانِ مِنَ المَصْدَرِ نفسِه. وهاتانِ الفَلْسَفَتانِ هُما: الرُواقيّة، والأبيقوريَّة. كانَ الرُواقيّونَ يُعلِّمونَ بأنَّهُ ينبَغي على الإنسانِ أنْ يعيشَ بِشَرَفٍ وبأنَّ المَوْتَ لا يَهُمّ. وقَد كانوا يؤمِنونَ بأنَّ الإنسانَ أكْبَرُ مِنَ الظُروفِ وبأنَّ الروحَ أكْبَرُ مِنَ الكَوْن. وكَما تَرى، عزيزي، فقَد كانَت الرواقيَّةُ فَلْسَفَةً جريئَةً؛ لكِنَّ المُشكِلَةَ كانَت تَكْمُنُ في كيفيَّةِ تطبيقِها وعَيْشِها. فقَد كانَت تُشْبِهُ هؤلاءِ الذينَ يقولونَ بأنَّهُم يعيشونَ بموجِبِ الموعِظَةِ على الجَبَلِ، في حينِ أنَّهُم في واقِعِ الأمْرِ يبعُدونَ أميالاً عنها. أمّا الأبيقوريّونَ فكانوا يُعلِّمونَ بأنَّ كُلَّ شيءٍ مَشكوكٌ فيه. فنَحْنُ لا نَعْرِفُ يقيناً مَتى جِئْنا، ولا نَعْلَمُ إلى أيْنَ نَذْهَب. فكُلُّ ما نَعْرِفُهُ هُوَ أنَّنا بَعْدَ حياةٍ قصيرَةٍ سوفَ نَختَفي عَنْ الساحَة، وبأنَّهُ مِنَ العَبَثِ أنْ نَحْرِم أنْفُسَنا مِنْ أيّ مُتْعَةٍ حاليَّةٍ. لذلِكَ، لنأكُل ونَشْرَبْ لأنَّنا سنموتُ غَداً. والشيء المُدْهِش في هاتينِ الفلسَفَتينِ هُوَ أنَّهُما حاوَلَتا التعامُلَ مَعَ الجَسَد - أي الطبيعَةِ القَديمَةِ التي لدى الإنسان. فالطَبيعةُ القديمَةُ تَعْمَلُ مِنْ خِلالِ عاداتِنا القديمَة، ورغباتِنا القديمَة، واختباراتِنا وتجارِبِنا القديمَة. فكَيْفَ سنتحَكَّمُ في كُلِّ هذا؟

في الواقع، يوجَد لدينا الآن كُلُّ ما يَلزَمُنا لكي نَعيشَ الحياةَ المسيحيَّة. وهُنالِكَ أشخاصٌ يَحضُرونَ الكثيرَ مِنَ المؤتَمراتِ ويتعلّمونَ فيها الكثيرَ عَنْ أصولِ الحياةِ المسيحيّة، ولديهِم في منازِلِهِم كُتُب ومراجِع كثيرَة؛ لكنَّهُم لا يَسلُكونَ حَسَناً. لماذا؟ لأنَّنا بِحاجَةٍ لأنْ نُقِرَّ بما يقولُهُ الرسولُ بولُس هُنا: نَحْنُ مُرتَبِطونَ بالمسيحِ الحيّ. فإنْ كُنْتَ، عزيزي، مُرتَبِطاً بِهِ فينبَغي أنْ تعيشَ وِفقاً لذلك. فما مِقْدارُ قُرْبِكَ مِنْهُ؟ هَلْ تسيرُ مَعهُ؟ هَل تلجأ إليهِ في جميعِ الظروفِ التي تواجِهُها في هذه الحياة؟ هَلْ هُوَ مَرْكَزُ حياتِكَ؟

ينتَقِلُ الرسولُ بولُسَ الآن للحديثِ عَنْ خَطَأ الناموسيَّة. وسوفَ نَجِدُ مَرَّةً أخرى بأنَّ الحَلَّ يَكْمُنُ في العَوْدَةِ إلى كَلِمَةِ اللهِ والدُخولِ في عَلاقَةٍ شَخْصِيَّةٍ مَع الرَّبّ يسوع المسيح. يقول في عدد 14 من الفصل الثاني من كولوسي:" إِذْ مَحَا الصَّكَّ الَّذِي عَلَيْنَا فِي الْفَرَائِضِ، الَّذِي كَانَ ضِدًّا لَنَا، وَقَدْ رَفَعَهُ مِنَ الْوَسَطِ مُسَمِّرًا إِيَّاهُ بِالصَّلِيبِ ". "إِذْ مَحَا الصَّكَّ الَّذِي عَلَيْنَا فِي الْفَرَائِضِ." فَجَسَدُنا القَديمُ هذا قَد دينَ. وحينَما ماتَ المسيح فإنَّهُ ماتَ عَنّي وَعَنْكَ، صديقي. وقَد دَفَعَ ثَمَنَ خَطايانا جميعاً. حينَما صُلِبَ الرَّبّ يسوع، كَتَبوا فوقَ رأسِهِ: "يسوعُ الناصِريّ مَلِكُ اليَهود." وقَد أعْدِمَ عَلَنا بتُهْمَةِ أنَّهُ

كانَ يقودُ عِصياناً أو تَمَرُّداً على السُلْطَة الحاكِمَة. ولم يَكُن هذا بالطَبْعِ صحيحاً؛ لكِنّ كانَت هذه هيَ التُهْمَةَ الموَجَّهَةِ إليه. وحينَما قَرأ الناسُ الواقِفينَ هُناك تِلْكَ التُهْمَة فَهِموا بأَنَّهُ لَمْ يَكُن مُوالِياً لقيصَر لأَنَّهُ قالَ عَنْ نفسِهِ بأَنَّهُ مَلِك. وبالنسبَةِ لَهُم، كانَ هذا سَبَبَ موتِهِ على الصَليب. لكِن حينَما نَظَرَ اللهُ إلى ذلِكَ الصليب رأى مَذْبَحاً عليهِ حَمَلُ اللهِ الذي يرفَعُ خَطِيَّةَ العالَم. ورأى اللهُ كِتابَةً أخرى فوقَ الكِتابَةِ التي كَتَبَها البَشَر، وهي تقول: "مَحَا الصَّكَّ الَّذِي عَلَيْنَا فِي الْفَرَائِضِ، الَّذِي كَانَ ضِدًّا لَنَا، وَقَدْ رَفَعَهُ مِنَ الْوَسَطِ مُسَمِّرًا إِيَّاهُ بِالصَّلِيبِ." فما الذي كَتَبَهُ الله على الصليب؟ لقَد كَتَبَ الفرائِضَ - كَتَبَ الوصايا العَشْر؛ كَتَبَ شريعَةً لا يستطيعُ أحَدٌ مِنّا أنْ يعيشَ بموجِبِها، فرائِضَ نكونُ أنا وأنْتَ، عزيزي، مُذنِبينَ إنْ خَرَقناها ولَم نتقيَّد بالعَمَلِ بِها. وحينَما ماتَ المسيحُ هُناكَ على الصليبِ، فهُوَ لَمْ يَمُت لأَنَّهُ لَمْ يلتَزِم بتطبيقِ هذه الفرائِض؛ فقَد كانَ المسيحُ بِلا خطيَّة، لكِنَّهُ ماتَ لأَنَّني أنا خَرَقْتُها، ولأَنَّني أنا خاطئٌ، ولأَنَّكَ أنْتَ أيضاً، عزيزي، فَعَلْتَ الشيءَ نفسَهُ. "إذ الجَميعُ أخطأوا وأعوَزَهُم مَجْدُ الله."

لذلك، إذا كانَ اللهُ قَد خَلَّصَكَ، وأقامَكَ مِنَ الأمواتِ، وضَمَّكَ إلى المسيح الحيّ، فلِماذا تَعودُ إلى الشرائِع والقوانينِ التي لَنْ تستطيعَ التقيُّدَ بِها أو العيشَ بموجَبِها؟ أتَرى صديقي؟ لقَد أُعْطِيَ الناموسُ في البِدايَة لضَبْطِ وتأديبِ الطبيعَةِ القَديمَة. لكِنَّ المؤمِنَ قَد حَصَلَ الآن على طبيعَةٍ جَديدَةٍ، وقَد تَمَّ التَخَلُّصُ مِنَ الناموسِ كطريقَةِ حياة. عدد 15:" إِذْ جَرَّدَ الرِّيَاسَاتِ وَالسَّلاَطِينَ أَشْهَرَهُمْ جِهَارًا، ظَافِرًا بِهِمْ فِيهِ ". إنَّ قيمَةَ النَصْرَ الروحيّ الذي حَقَّقَهُ المسيح للمؤمِنينَ لا تُقَدَّرُ بِثَمَنٍ.

لنرَ الآن معاً المسيح، كردٍّ على الطُقوس التي تتعامل مع القلب، وذلك بعد أن رأيناه رداً على الفلسفة التي تتعامل مع العقل. نقرأ ما تبقى من الفصل الثاني ابتداءً من الآية السادسة عشرة..

16 فَلاَ يَحْكُمْ عَلَيْكُمْ أَحَدٌ فِي أَكْلٍ أَوْ شُرْبٍ، أَوْ مِنْ جِهَةِ عِيدٍ أَوْ هِلاَلٍ أَوْ سَبْتٍ، 17 الَّتِي هِيَ ظِلُّ الأُمُورِ الْعَتِيدَةِ، وَأَمَّا الْجَسَدُ فَلِلْمَسِيحِ. 18 لاَ يُخَسِّرْكُمْ أَحَدٌ الْجِعَالَةَ، رَاغِبًا فِي التَّوَاضُعِ وَعِبَادَةِ الْمَلاَئِكَةِ، مُتَدَاخِلاً فِي مَا لَمْ يَنْظُرْهُ، مُنْتَفِخًا بَاطِلاً مِنْ قِبَلِ ذِهْنِهِ الْجَسَدِيِّ، 19 وَغَيْرَ مُتَمَسِّكٍ بِالرَّأْسِ الَّذِي مِنْهُ كُلُّ الْجَسَدِ بِمَفَاصِلَ وَرُبُطٍ، مُتَوَازِرًا وَمُقْتَرِنًا يَنْمُو نُمُوًّا مِنَ اللهِ. 20 إِذًا إِنْ كُنْتُمْ قَدْ مُتُّمْ مَعَ الْمَسِيحِ عَنْ أَرْكَانِ الْعَالَمِ، فَلِمَاذَا كَأَنَّكُمْ عَائِشُونَ فِي الْعَالَمِ؟ تُفْرَضُ عَلَيْكُمْ فَرَائِضُ: 21 «لاَ تَمَسَّ! وَلاَ تَذُقْ! وَلاَ تَجُسَّ!» 22 الَّتِي هِيَ جَمِيعُهَا لِلْفَنَاءِ فِي الاسْتِعْمَالِ، حَسَبَ وَصَايَا وَتَعَالِيمِ النَّاسِ، 23 الَّتِي لَهَا حِكَايَةُ حِكْمَةٍ، بِعِبَادَةٍ نَافِلَةٍ، وَتَوَاضُعٍ، وَقَهْرِ الْجَسَدِ، لَيْسَ بِقِيمَةٍ مَا مِنْ جِهَةِ إِشْبَاعِ الْبَشَرِيَّةِ.

" فَلاَ يَحْكُمْ عَلَيْكُمْ أَحَدٌ فِي أَكْلٍ أَوْ شُرْبٍ، أَوْ مِنْ جِهَةِ عِيدٍ أَوْ هِلاَلٍ أَوْ سَبْتٍ، الَّتِي هِيَ ظِلُّ الأُمُورِ الْعَتِيدَةِ، وَأَمَّا الْجَسَدُ فَلِلْمَسِيحِ ". لا يتوجَّبُ على المؤمِنَ أنْ يَحْفَظَ فرائِضَ وشَعائِرَ وطُقوساً لأنَّها عَديمَةُ القيمَة. لقَد أعطى اللهُ طُقوساً مُعيَّنَةً للشَعْبِ في العَهْدِ القَديم؛ لكِنْ ما الذي تَغَيَّر؟ يقولُ الرسولُ بولُس إنَّ تِلْكَ كانَت مُجرَّدَ "ظِلِّ الأمورِ العَتيدَة". فجَميعُ الشعائِرِ والطُقوس التي كانَ يشتَمِلُ عليها الناموسُ في العَهْدِ القَديم كانَت بمَثابَةِ صورَةٍ سالِبَةٍ أو نيجاتيف - فهِيَ مُجَرَّدُ ظِلالٍ للمسيح. والآن، بَعْدَ أنْ جاءَ المسيح، أصبَحَت لدينا الحقيقَة؛ فلِماذا إذَن ننظُرُ إلى الصورَةِ السالِبَة؟ وهكذا، يحتاجُ الكثيرونَ مِنّا لأن يتخلَّصوا مِنَ الانشِغالِ بحُضورِ المؤتَمَراتِ وما إلى ذلِكَ وأنْ يتَّخِذوا الطريقَ المُختَصَرَ المؤدّي إلى الحياةِ الفيّاضَة. فلنتوقَّف، عزيزي، عَنْ النَظَرِ إلى الصُوَرِ السالِبَةِ، عن الظلال، ولنُركِّز على شَخْصِ الرَّبّ يسوع المسيح: "المسيحُ فيكُم رجاءُ المَجْد."

نأتي الآنَ إلى التحذيرِ مِنَ التصَوُّف. عدد 18 و19:" لاَ يُخَسِّرْكُمْ أَحَدٌ الْجِعَالَةَ، رَاغِبًا فِي التَّوَاضُعِ وَعِبَادَةِ الْمَلاَئِكَةِ، مُتَدَاخِلاً فِي مَا لَمْ يَنْظُرْهُ، مُنْتَفِخًا بَاطِلاً مِنْ قِبَلِ ذِهْنِهِ الْجَسَدِيِّ، وَغَيْرَ مُتَمَسِّكٍ بِالرَّأْسِ الَّذِي مِنْهُ كُلُّ الْجَسَدِ بِمَفَاصِلَ وَرُبُطٍ، مُتَوَازِرًا وَمُقْتَرِنًا يَنْمُو نُمُوًّا مِنَ اللهِ ". هذه نُقْطَةٌ أخرى يَخْرُجُ فيها الناسُ عَنْ المسارِ الصحيح. والرسولُ بولُس يُدينُ الغنوسيّينَ الذينَ كانوا يَدَّعونَ الحِكْمَة. وما زِلنا نُعاني لغايَةِ يومِنا هذا مِنَ الأشخاصِ الذينَ يتَبَجَّحونَ بمعْرِفَتِهِم رُغْمَ أنَّ نسبَةً كبيرةً منْ هؤلاءِ يجْهَلونَ الكِتابَ المُقَدَّس. "مُتَدَاخِلاً فِي مَا لَمْ يَنْظُرْهُ" - أي التظاهُر

والادِّعاء والتصرُّف بطريقَةٍ توحي بأنَّكَ تَعْرِفُ شيئاً ما في حينِ أنَّكَ لا تَعْرِفْه. عبارَة "وَغَيْرَ مُتَمَسِّكٍ بِالرَّأْسِ" تعني بأنَّ هؤلاء ليسَ لديهم علاقَةٌ وثيقَةٌ بالمسيح. وبِعبارَةٍ أخرى، فإنَّ عُقولَهُم لا تُفكِّرُ بطريقَةٍ سليمَةٍ.

التحذيرُ الأخيرُ في هذا الفصل الثاني من كولوسي موجَّهٌ ضِدَّ خَطأ التقشُّف الزائِف. يقول الرسول بولس: " إِذًا إِنْ كُنْتُمْ قَدْ مُتُّمْ مَعَ الْمَسِيحِ عَنْ أَرْكَانِ الْعَالَمِ، فَلِمَاذَا كَأَنَّكُمْ عَائِشُونَ فِي الْعَالَمِ؟ تُفْرَضُ عَلَيْكُمْ فَرَائِضُ «لاَ تَمَسَّ! وَلاَ تَذُقْ! وَلاَ تَجُسَّ!» الَّتِي هِيَ جَمِيعُهَا لِلْفَنَاءِ فِي الاسْتِعْمَالِ، حَسَبَ وَصَايَا وَتَعَالِيمِ النَّاسِ، الَّتِي لَهَا حِكَايَةُ حِكْمَةٍ، بِعِبَادَةٍ نَافِلَةٍ، وَتَوَاضُعٍ، وَقَهْرِ الْجَسَدِ، لَيْسَ بِقِيمَةٍ مَا مِنْ جِهَةِ إِشْبَاعِ الْبَشَرِيَّةِ ". مَرَّةً أخرى، حينَما يقولُ الرسول بولُس "إِنْ كُنْتُمْ قَدْ مُتُّمْ مَعَ الْمَسِيحِ" فإنَّهُ يَعني أنَّهُ بِما أنَّكُم قُد مُتُّم مَعِ المَسيح، فلا يَجْدُرُ بِكُم أنْ تَعودوا إلى حياتِكُم التي كُنتُم تحيونها قَبْلَ الصَليب. وأعتَقِدُ بأنَّ هذهِ مُشْكِلَةٌ عويصَةٌ. فهُنالِكَ أشخاصٌ كثيرونَ في الكنيسَة يسيرونَ وراءَ البِدَع. كَما أنَّ الكثيرينَ يتفاخَرونَ قائِلين: "أنظُر إليَّ، إنَّني أنْكِرُ نفسي ولا أفْعَلُ هذهِ الأشياء. فقَط أنظُر إليّ، إنَّني مُميَّزٌ ومُختَلِفٌ عَمَّن هُمْ مِنْ حولي." ولكن لا يا صديقي، هذا لا ينفع أبداً. "لَيْسَ بِقِيمَةٍ مَا." صَديقي، هذا هُوَ التقشُّفُ الزائِف. أمّا اللهُ فهُو يُريدُكَ أنْ تَفْرَحَ بِهِ؛ ويسوعُ يُريدُكَ أنْ تكونَ قريباً مِنْهُ. فإذا كُنْتَ تسيرُ مَعَهُ فسوفَ تَحظى بوقْتٍ جَميلٍ وسَعيدٍ لأبْعَدِ الحُدود. أرجو أن تكون دائمَ القرب تتمتع بشخصه الفريد وليبارك إلهُنا حياتك دائماً وأبداً في المسيح يسوع والسلام لك.